

الفصل السابع

مشكلات نفسية

obeikand.com

الخوف :

تمثل حياة الإنسان في كل ما يمر به من مباحج ومسررات، إلى جانب ما يعتريه من مخاوف ومخاطر، ويتأرجح شعور الإنسان بين الرغبة وإشباعها، والآلام ومحاولة القضاء عليها أو تجنبها وتحاشيها. والخوف رد فعل في جسم الإنسان، في مواجهة شيء يهدد سلامته. إنه رد فعل يحدث داخل الإنسان، ورد الفعل هذا يكون حالة انفعالية يشعر بها الإنسان بمستويات مختلفة وبدرجات متعددة حسب المؤثر.

يضع علماء النفس "الخوف" على رأس قائمة الانفعالات الأصلية التي يواجهها الإنسان منذ نعومة أظفاره، وإذا كان الإنسان هو الموجود البشري الذي لا يكاد يكف عن البحث عن الأمن، فما ذلك إلا لأنه مهدد في كل لحظة بعدد من الأخطار، فهو يتأرجح بين مخاوف تأتيه من البيئة المحيطة، وكذلك المخاوف التي تأتيه من داخله. ويظهر الخوف من خلال تلك الهواجس التي تعترى الإنسان، فنراه في بعض الأحيان يخاف المرض والفشل والتعرض للكوارث... الخ. وبطبيعة الحال فإن الإنسان في مواجهته لهذه الأمور يحتاج دائماً إلى أن يحقق هذا الحنين الدائم والمستمر، وهو حاجته إلى الأمن والطمأنينة⁽¹⁾.

فالأمن يعني التحرر من الخوف أيًا كان مصدره. يشعر الإنسان بالأمن متى كان مطمئناً على صحته وعمله ومستقبله وأولاده وحقوقه ومركزه الاجتماعي. فإن حدث ما يهدد هذه الأشياء، أو توقع الفرد التهديد فقد شعوره بالأمن⁽²⁾. ولذلك يقول المثل: "مطرح ما تأمن خاف".

إن الخوف استعداداً فطرياً داخل الإنسان، يساعد الإنسان على أن يحمي نفسه، ويدافع عن نفسه ليعيش في أمان. إنه استعداد أوجده الله في الإنسان والحيوان، رغم أن طريقة الاستعداد تختلف من حالة إلى أخرى، ومن موقف إلى موقف، إلا أنه يمس كل إنسان، فلا يوجد إنسان لا يخاف. ولو أننا قلنا إنه يوجد شخص لا يخاف، فإن انعدام الخوف يكون ناشئاً إما عن قلة الإدراك أو عن نقص في الطاقة العقلية. فالطفل الذي يضع يده في النار لا يدرك

(1) سيد صبحي، مرجع سابق، ص 100.

(2) راجع، مرجع سابق، ص 113.

أن النار ستحرقه، والبالغ يتصرف في المخاطر وهو لا يخاف منها لنقص إدراكه العقلي⁽¹⁾. والفرق بين الخوف العادي والخوف المرضي أن الخوف العادي غريزي، وهو حالة يشعر بها كل إنسان في حياته العادية حين يخاف مما يخيف فعلاً مثل: حين يشعر الفرد باقتراب حيوان مفترس يفعل ويقلق ويسلك سلوكاً ضرورياً للمحافظة على الحياة وهو الهرب.

وفي ذلك يقول المثل: "من خاف سلم"، كما أن "الخوف يربي الجوف"، أي أن الخوف يربي المرء ويمنعه من ارتكاب ما يعاقب عليه، "مين يقدر يقول يا غولة عينك حمرة"، هذا هو الخوف العادي الفطري، وهي انعكاسات سليمة تصاحب الإنسان في مواقف واقعية تستدعي الخوف، "إلي انت خايف منه هلبتُ عنه"، أي لا بد منه، ومن الأمثال الدالة على الخوف العادي الطبيعي: "نام لما ادبحك قال ده شيء يطير النوم من العين".

أما الخوف المرضي فهو خوف شاذ لا يعرف المريض له سبباً، وقد يكون وهمي أو غير حسي، كالخوف من الموت أو الخوف من العفاريث... الخ. وقد يُعبر المثل عن ذلك بقوله: "قولة هش تربي الغش"، وهو يُضرب في أن الفزع يضر بالشخص. والخوف المرضي يطلق عليه: الفوبيا: Phobia وهو خوف مرضي من موضوع أو شيء أو موقف لا يستثير عادة الخوف لدى عامة الناس وأسويائهم. ومن هذا اكتسب طابعه المرضي. كالخوف من الأماكن المفتوحة، والذي يبدو من خوف المريض من البقاء في الأماكن المفتوحة، فإذا دخل غرفة أو منزلاً لا يستريح إلا إذا أغلق الباب، ويظل قلقاً حتى تغلق جميع النوافذ وهكذا.. فكأن الفوبيا خوف شديد من أشياء ومواقف نوعية لا حصر لها. وقد تعبر الأمثال التالية عن ذلك: "زي القروء يخاف من خياله"، حيث يضرب المثل للشخص شديد الفزع، حيث يرون أن القرد إذا رأى خياله في المرأة فزعاً شديداً. "زي ولاد الكتّاب ينسرعوا من أول كف"، أي يضطربون من الخوف، ويعلموا صياحهم من أول صفة يصفعونها، وهو يُضرب لمن يفزع من أول هول يصادفه. ولذلك قال ﷺ: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى".

والمخاوف المرضية لا تستند إلى مسوغات عقلية؛ لأنها تعتمد على هواجس غريبة وأفكار واهمة لا تستند إلى واقع، ولذلك ينصح المثل فيقول: "إلى تحط رجلك مطرح رجله

(1) صموئيل حبيب (1989). الخوف. القاهرة: دار الثقافة. ص 9.

ما تخافش منه"، "إلي تخاف منه ما يحيش احسن منه"، "ما عفريت إلا بني آدم"، "إلي يخاف من العفريت يطلع له".

ويُرجع أصحاب المدرسة السلوكية الخوف المرضي إلى التعلم الشرطي، كما يحدث في حالة خبرة مخيفة وقعت في الطفولة، حيث تنتقل استجابة الخوف من المثير الأصلي الذي سبب الخوف إلى مثير اقترن به شرطياً. "مالك مرعوبة قالت من ديك النوبة"، أي قيل لها مالك مرعوبة إلى هذا الحد؟ قالت مما حدث في المرة السابقة. أي أن المثير الشرطي الذي لم يحدث الخوف أصلاً قد اكتسب صفات غير المثير الأصلي فأصبح يثير الخوف دون وضوح، وهو ما يُعبر عنه المثل القائل: "إلي قرصه التعبان يخاف من الحبل"، "إلي يخاف من الفرد يركبه".

وبذلك يكون من أهم أعراض الخوف: الامتناع عن مظاهر السلوك العادي، مثل الامتناع عن الأكل في المطاعم، وهكذا. وقد يعبر عن ذلك المثل القائل: "إلي يخاف من العرسة ما يربيش كتاكيت".

ومما تجدر الإشارة إليه أن التحليل النفسي لا يميل إلى تعبير الخوف، ويفضل استخدام مصطلح "حصر" أو "قلق" باعتباره تلك الحالة الوجدانية التي تعتبر إشارة إنذار تأتي الأعراض والأمراض بعامة للسيطرة عليه. كما أن هناك حصر واقعي Realistic Anxiety وهو ذلك الخوف الناجم عن خطر خارجي واقعي. وفي كل الأحوال فإن الحصر في التحليل النفسي لا يعتبر مرضاً، بل هو مجرد إرهاب ص باندلاع المرض⁽¹⁾.

هذاء البارانونيا.

مرض يتميز بوجود هذاء منظم وثابت، مع احتفاظ الشخصية عادة بإمكانياتها العقلية دون تدهور ناتج عن استمرار فترة المرض، فيظل ذكاء الفرد وذاكرته ومعلوماته دون أن يصيبها الضعف، ويلاحظ أن محور تصرفات المريض يدور حول هذائه الذي يعتقد تماماً في صدقه ولا يشك فيه للحظة. ويكثر ظهور الهذاء في مرحلة الرشد وخاصة في الأربعينات، وينتشر بين الذكور أكثر من الإناث. فهو "زي الطاوس يتعاجب بريشه".

(1) حسين عبد القادر (في) فرج طه وآخرون، مرجع سابق، ص 514.

وصاحب هذه الشخصية في طفولته يتسم بالعزلة الاجتماعية، والتقلب الانفعالي، والعناد، وكلما نما الفرد نحو الرشد تتسم شخصيته بشدة الحساسية ومشاعر الاضطهاد أو العظمة، والأنانية، والتمركز حول الذات. وفي الرشد يتصف بالجمود والتزمت والاستخفاف بالآخرين والتسلط على من هم دونه⁽¹⁾. "فجل يا كلاب"، "كلب اجر ب" وانفتح له مطلب".

وهذه الشخصية تدور حول محور الشك وسوء الظن، فصاحبها لا يثق بأحد ويتوقع الإيذاء من كل الناس، ويجد في كل كلمة أو فعل سخرية منه أو انتقاصاً من قدره، ولذلك نجده دائم الحظر من الآخرين، ويكافح طوال عمره ليقوي ذاته ويحمي نفسه من الآخرين الأعداء، وهذا الشك والحذر وعدم الولاء للناس يدفعه للعمل الجاد والشاق لكي يصل إلى المراكز العليا في مجال تخصصه، وهو حين يحقق ذلك يمارس السيطرة والتحكم في الناس⁽²⁾. ولسان من حوله ينطق بالمثل: "من بره هلا هلا ومن جوه يعلم الله"، "حسنة وانا سيدك"، "إيش كبرك عنه وانت ابن عمه".

وقد أطلق البعض على هذه الشخصية هذاء العظمة أو هذاء الاضطهاد. وفي هذاء العظمة أو توهم العظمة *delusions of grandeur* يعتقد الفرد أنه شخص عظيم، أو حاكم أو زعيم وقائد أو بطل أو مخترع أو نبي... الخ، ويؤمن بأهميته وتفوقه وامتيازه وعظمته، ويلاحظ عليه الحديث عن الذات والتعالي والمفاخرة، وكأنه يطبق على نفسه المثل القائل: "يا أرض اتهدى ما عليك أدي"، في حين أن الناس ينظرون إليه نظرة أخرى: "زي براغيت القنطرة عري وزنطرة"، "زي ديك الخمسين عريان ومزنطر"، والزنطرة هي التعالي والتكبر، ويضرب للصعلوك المتبجح المتعالي وهو عريان لا يجد ما يستره، وكذلك المثل القائل: "أمه عياشة وعامل باشا"، فهو "زي الغراب يتعاجب بعوار عينه"، إنه يحب التعالي على غيره ولو بما فيه هلاكه: "زي مرزوق يحب العلو ولو على خازوق"، والبعض منهم يتعالى ويفتخر بشيء بعيد عنه متمسحاً به، فهو "زي الأغوات يفرحوا بولاد أسيادهم"، و"أسأله عن ابوه يقول خالي شعيب"، "القرعة بتباهي بشعر بنت أختها"، "مالك بتجري وتشلحي قالت مفتاح القوالح معي"، وفي الحقيقة "إيش انتي في الحارة يا منخل بلا طارة".

(1) زهران، مرجع سابق، ص 544.

(2) محمد المهدي (2007). علم النفس السياسي: رؤية مصرية عربية، ص 45.

ولقد أورد شارح⁽¹⁾ مقامات الهمذاني⁽²⁾ عند تعليقه على المقامة المارستانية حواراً يبين لنا صاحب هذه الشخصية فقال: قال أبو بكر الأزهر: حدثني المبرد قال: قال لي المازني: أنت تنصرف من مجلسنا إلى مواضع المجانين والمعالجين، فما معنى ذلك؟ قال: قلت: أعزك الله تعالى إن لهم طرائف من الكلام. قال: فأخبرني بأعجب ما لقيته من المجانين. فقلت: دخلت يوماً إليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير، فجاوزته إلى غيره، فقال: سبحان الله.. أين السلام؟ من المجنون أنا أم أنت؟ فاستحييت منه فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد، على أننا نصرف سوء أدبك على أحسن جهاته من العذر، لأنه كان يقال: أن للقادم على القوم دهشة. إجلس أعزك الله، فقال لي وقد رأى معي محبرة: أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما، أمجالس أصحاب الحديث الأغثاء أو الأدباء أصحاب النحو والشعر؟ فقلت: الأدباء. قال: أتعرف أبا عثمان المازني؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الذي يقول فيه:

وفتي من مازن أستاذ أهل البصرة

أمه معرفة وأبوه نكرة

فقلت: لا أعرفه. فقال: أتعرف غلاماً له نبغ في هذا العصر معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو يعرف بالمبرد؟ فقلت: أنا والله عين الخير به. قال: هل أنشدك شيئاً من شعره؟ قلت: لا أحسبه يحسن قول الشعر. قال: يا سبحان الله! أليس هو القائل:

حبذا ماء العناقيد بريق الغانيات

بهما ينبت لحمي ودمي أي نبات

أيها الطالب أشهى من لذيق الشهوات

كل بماء المزن تفاح خدود الفتيات

(1) هو محمد محي الدين عبد الحميد.

(2) أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني. نشأ بهمدان إحدى مدن فارس، درس العربية والآداب وبرع فيها، ثم غادرها سنة 380 هـ وهو في سن الشباب. توفي سنة 398 هـ وهو في سن الأربعين.

قلت: قد سمعته ينشد هذا في مجلس الأنس. فقال: يا سبحان الله! أو لا يستحي أن ينشد مثل هذا الكلام حول الكعبة؟ ثم قال: وما تسمع ما يقولون في نسبه؟ فقلت: يقولون: هو من الأزد، أزد شنوءة ثم من ثمالة. قال: قاتله الله، ما أبعد غوره! أتعرف قوله:

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون: ومن ثمالة؟

فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهم جهالة

فقال لي المبرد: خل قومي فقومي معشر فيهم ندالة

فقلت: أعرف هذا العبد الصمد بن المعدل يقولها فيه. فقال كذب من ادعاها، هذا لرجل لا نسب له يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسباً. فقلت: أنت أعلم. فقال: يا هذا قد غلبت خفة روحك على قلبي وقد أخرت ما كان يجب تقديمه، ما الكنية أصلحك الله؟ قلت أبو العباس. قال فما الاسم؟ قلت: محمد. قال فالأب؟ قلت يزيد. قال: قبحك الله، أحوجتني إلى الاعتذار مما قدمت ذكره. ثم وثب باسطاً يده يضافحني، فقال: يا أبا العباس صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهياً أن تصادف مثلي على مثل هذه الحالة، أنت المبرد أنت المبرد، وجعل يصفق.

وقد ورد في القرآن الكريم قصة علو فرعون واستكباره، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) (١) وفرعون هذا نموذج مثالي تتوفر فيه هذه الشخصية بوضوح، حتى أنه أصبح قائداً ومعلماً لكل المستبدين ومجانين العظمة، فالمستبد متكبر ويتعالى على الناس ويستضعفهم، ولسان حاله ينطق بالمثل: "أنا أمير وانت أمير مين يسوق الحمير"، "لما انا ست وانت ست مين يكب الطشت".

لقد وصل الاستعلاء والطغيان إلى حد المرض: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) (٢) وشخصية المتعالي المستبد أقرب ما تكون من النمط

(١) سورة القصص: 4.

(٢) سورة يونس: 83.

البارانوي، حيث تتضخم الذات أكثر وأكثر حتى تبتلع كل من حوله ويصبح هو والوطن شيء واحد، فسمع عن البلد باسم رئيسها فمثلاً: (مصر مبارك، وأرض الحجاز باسم آل سعود)، ويرد المثل على هذه الشخصية عندما تصل إلى هذا الحد بقوله: "زي ما تكون لي أكون لك مانتش رب أخاف منك"، وعن تصريحاته الكثيرة "قاعد على نخ وعمال يجبخ".

وعندما يصل المتكبر المتعالي المستبد إلى هذا الحد من العلو يشعر بملكيته لمن حوله، ويطلبهم بالطاعة والانقياد، ولا يسمح بالمخالفة أو المناقشة، في حين يقول له المثل: "حُط راسك بين الروس واولع عليها بالقطع"، حيث يُضرب في الحث على عدم التعالي على الناس، "حط راسك وسط الروس تسلم"، لعدم التعالي على الناس أيضاً.

وإذا لم يتعظ فقد يصل في النهاية إلى حد الاعتقاد بألوهيته، وهو ما وصل إليه فرعون حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (٢٤)،^(١) والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي جعله يصل إلى هذا الحد؟ والإجابة ببساطة شديدة هم من حوله من أسرته إذا كان شخصاً عادياً، ومن حوله من المرؤوسين إذا كان رئيساً في عمله، ومن حوله من حاشية وشعب يستعذب الألم والخزي إذا كان من الحكام، حتى إذا حاول هو في لحظة صدق أن "يتنحى" وأن تعود الجماهير إلى رشدها، فإن الجماهير ترفض ذلك، وتؤثر الاستمرار في الحلم اللذيذ على العودة إلى الواقع المؤلم، وقد سخر المثل من هؤلاء حين قال "أحه أحه لن تنحى"، وهنا يجد الزعيم نفسه مضطراً لمجاراة الجماهير في حلمها التي لا تريد أن تفيق منه، وكأني أستمع إلى المثل يقول: "يا فرعون إيش فرعنك قال مالقيتش حد يردني".

إن المحيطين بهذه الشخصية ليسوا ضحايا، بل مشاركين في صنعه، فبعضهم شارك بالأقوال والأفعال عن طريق المدح والثناء والتبرير، فثمة تعبيرات تصور نفاق المحكوم للحاكم مهما بلغت سياسته من الخطأ منها: "إذا دخلت قرية فاحلف بالهها"، "اسجد للقرء السوء في زمانه"، "أرقص للقرء في دولته"، وهو ما يكون سبباً رئيساً في تدعيم سلوكه والاستمرار فيه حسبما أوضحت المدرسة السلوكية، والبعض الآخر شارك بالصمت. والناس يدفعون ثمن صمتهم مرتين: مرة في الدنيا ومرة في الآخرة: فعن جابر ابن عبد الله -

(١) سورة النازعات: 24.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي ﷺ قال لكعب ابن عُجرة: "أعاذك الله من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوذي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فألئك مني وأنا منهم وسيردون على حوذي. يا كعب ابن عجرة: الصيام جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان. يا كعب ابن عجرة: الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها⁽¹⁾".

لقد وصل اعتزال الجماهير التدريجي وإيثار الصمت إلى حد تحول الإنسان إلى آذان تسمع ولسان يردد في ببغائية ما يسمعه، صار صدى لصوت الحاكم الفرد، وأيا كان الأمر فالمسؤولية مشتركة بين حشود الجماهير الصامتة وصفوة الحكام القابضة على مقاليد الأمور، والمثل يقول: "إيد لوحدها ماتسقفش"، فصمت الجماهير هو الوجه الآخر لشمولية الحكم⁽²⁾. وبعد أن طال الصمت إذ بنا نشهد انفجاراً مناقضاً، واندفاعاً جارفاً، فبعد أن كان الحاكم وحده يتكلم والكل يصمت، أصبحنا نجد الكل يتكلم ولا أحد ينصت.

وحين يعيش شعب من الشعوب تحت أنظمة استبدادية لفترات طويلة دون أن يتمكن من تغيير هذه الأنظمة فإن أفراد هذا الشعب يكتسبون صفات العبيد "طول عمرك يا رضا وانت كده"، فيتعاملون مع كل صاحب سلطة بالخضوع والخنوع والاستسلام، و"الي عاجبه ده الكحل يتكحل والي مش عاجبه يرحل" ويرضون بالفتات الذي يلقي لهم، وشيئاً فشيئاً تذوب الكرامة، وتسود صفات الانتهازية والنذالة والجبن والتسول المهين، وينطبق على الناس في هذه الحالة ما قاله الشاعر:

خمسون عاماً أنحني مذ كنت يوماً طفلاً رضيعاً
واليوم تأمرني لأرفع هامتي فبكل أسفي سيدي لن أستطيعا

(1) رواه أحمد واللفظ له، والبخاري، ورواهما محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن حبان في الصحيح. أنظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني، ج2، حديث رقم: (2242).

(2) فرج احمد، مرجع سابق، ص174.

ويوضح ابن مسكويه في "تهذيب الأخلاق" مجموعة من المحكات التي تميز الإنسان الصحيح نفسياً، ومنها أن يتعد عن العجب والافتخار، فيقول: "فالعجب ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة هي غير مستحقة لها، والدليل على ذلك أن الفضل مقسوم بين البشر، ولا يكمل الواحد منهم إلا بفضائل غيره، وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه أن لا يعجب بنفسه، وكذلك أيضاً الافتخار، فإن الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عنا، ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه⁽¹⁾".

فالإعجاب بالنفس الذي حدثنا عنه ابن مسكويه هو بلغة علم النفس "الشخصية النرجسية"، وهي صفة ملازمة للشخص المتكبر المتعالي أيضاً، فتجده يمشي كالطاووس مهتماً بشياكلته وأناقته وصورته لدى الآخرين، ويجري توحداً بينه وبين زعماء التاريخ، ولا يتحمل النقد من أحد، وإذا تجرأ الناس على نقده سعى في تأديبهم، وربما سن القوانين التي تحرم العيب أو النقد في ذاته⁽²⁾.

والأمثال في ذلك كثير: "إلي عطاك يعطينا"، "زي شحات الترك جعان ويقول مش لازم"، "زي الطبل منفوخ على الفاضي"، "الشهر ثلاثين يوم والناس تعرف بعضها من زمان"، أي أن نظام الكون لم يتغير، والناس يعرفون بعضهم بعضاً، فلماذا التعظيم والتكبر. "العجب قاتلنا مش بخاطرنا"، والعجب أي الإعجاب بالنفس، وهو يضرب لمن كان الكبر والإعجاب بالنفس في طبعه، وأنه ليس باختياره، وكأنه حالة مرضية، لا يستطيع الإقلاع عنها. "كُبر النفس قطع نصيب"، "نفخة وشمخة وبصلة في الجيب"، يضرب للفقير المعدم المتكبر.

الكذب؛

يُعد الكذب بوجه عام انحرافاً نفسياً، وكثيراً ما تشبه الأكاذيب بالرداء الذي يخفي معالم النفس. وهناك ضروب شتى وأنواع مختلفة من الأكاذيب ولكل منها مغزاه وما يرمي إليه، فهناك الكذب الاعتيادي، وهناك الكذب المرضي. فعندما يذكر الكذب في موقف من

(1) أنظر: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، ص 111-114؛ سيد صبحي، مرجع سابق، ص 178.

(2) المهدي، مرجع سابق، ص 22-23 بتصرف.

المواقف فإن الذهن ينصرف إلى القيم الدينية والأخلاقية، باعتبار أن الكذب شر، ونحن بالطبع لا نعترض على ما تقره القيم الدينية والأخلاقية، بل نضيف الزاوية السيكلوجية إلى الزاوية التقييمية التي تتعلق بالخير والشر.

ولقد حاولت مدرسة التحليل النفسي معالجة الكذب القهري الذي يقترن عادة بالهستيريا، وذلك حينما يصبح الكذب عادة مستحوذة على نفسية الشخص، وتصبح لغته نسيجاً من الأكاذيب⁽¹⁾. وفي ذلك يقول المثل: إن قال لك الحرامي على الباب نام وطرطر رجلك"، وهو يضرب للكذوب الذي لا يصدق في شيء، ويقول آخر: "إيش عرفك انها كدبة قال كُبرها"، أي المبالغة في الخبر أدت إلى تكذيبه.

وعندما يصل الفرد إلى مرحلة المراهقة (هو/هي) فإنه يشعر بأن ما تخاذل بإذائه أثناء فترة الطفولة مازال يعيش في وجدانه، ويهيمن على عقله، ولذلك تجده يندفع نحو التخلص من تلك الركامات النفسية التي ما تزال تؤرقه. وهنا يجد الشخص نفسه في مقارنة بين الصدق مع النفس والكذب عليها، فإذا التزم بالصدق مع النفس فإنه يستشعر شقاء الحياة ويصطدم بالواقع المرير، ومن هنا يلجأ إلى الخيال والكذب على الذات⁽²⁾.

والصدق عكس الكذب، وهو مطابقة الخبر للواقع، وهو مطلوب من الإنسان في قوله وعمله واعتقاده، وقد أمر الله بالصدق في عدة آيات من كتابه، وأثنى على الصادقين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾⁽³⁾، وأخبر أنه أعدّ لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ومدح الصادقين والصادقات. والصدق أحد أبعاد الشخصية الصحيحة نفسياً، وهو لا يقتصر على القول فقط، بل لابد وأن يكون الإنسان صادقاً في قوله وفعله، فالكذب كما يقول المثل: "الكذب مالوش رجلين"، لأن الكذب يؤدي إلى الصراعات النفسية، "ما ينوب الكذاب إلا سواد وشه"، كما أن "شمعة الكذاب ما تنورش"، ومن يكذب اليوم يظهر كذبه غداً "إلي يكذب نهار الوقفة يسود وشه نهار العيد"،

(1) عادل الاشول (1982). علم النفس النمو، ص 564.

(2) يوسف ميخائيل أسعد (1989). الكذب وأثره في الإنسان. القاهرة: دار غريب. ص 29.

(3) سورة التوبة: 119.

وأيضاً "على وشك بيان يا مضاع اللبان" وفي مقابل الصدق وخصائصه المستحسنة، يكون الكذب بمضاره وقبحه، ويكون اللسان ترجمان الإنسان عن أحاسيسه الداخلية، فلو كان الكذب ناشئاً من الحسد والعداوة فهو من رشحات الغضب الخطيرة، ولو كان من الطمع أو العادة فهو من آثار الشهوة المتأججة في الإنسان.

يقول النبي ﷺ: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً⁽¹⁾".

فالتحري والإصرار على الكذب هو ما يجعله مرضاً، ويقول المثل: "إن كان الكذب حجة يكون الصدق أنجى"، وأعظم الكذب هو الكذب على الله، وقد قال المثل في ذلك: "ربك وصاحبك لا تكذب عليه"، لأن ربك عالم بكل شيء فلا يصح أن تكذب على الله، وصاحبك لا تكذب عليه لأن ذلك ينافي الصداقة.

وقال ﷺ: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما⁽²⁾"، فالبركة مقرونة بالصدق والبيان، والتلف والمحق مقرون بالكذب والكتمان. والمشاهدة والواقع أكبر دليل على ذلك، لا تجد صادقاً إلا مرموقاً بين الناس بالمحبة والثناء والتعظيم، يحوز الشرف وحسن السمعة والاعتبار، ويتسابق الناس إلى معاملته وبذلك تتم له سعادة الدنيا والآخرة، وهذا بخلاف الكذب المزدول، "قاعد على نخ وعمال ينجح"، فكلما أفرط المرء في الكذب والإخبار بما لم يقع عرف عند الله وعند خلقه بأنه كذاب، فلا يقام له وزن ولا يأمنه أحد على شيء، فالكاذب يجني على نفسه قبل أن يجني على أحد، لا سيما إذا تحرى الكذب حتى يكتب كذاباً في السماء والأرض، "مكتوب على باب السما الكذب ما يمحش الحما"، فالكذب دليل على حقارة الكذاب وخيائته. قال ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان". ويقولون في الأمثال: "قالوا

(1) متفق عليه.

(2) البخاري ومسلم.

للحرامي احلف قال جا الفرج"، لأنه لا يتأخر عن الحلف كاذباً، "قالوا لحرامي الدقيق احلف قال انخلي يا مرة".

إن الكذوب لا يدع لنفسه فرصة للتفكير، بل إنه يتخيل أن لا يطلع على سره أحد، فتجده يصاب في حديثه بالخطأ والتناقض والنسيان، حتى أن المثل يقول: "الكذاب نسائي"، ولعل من عوامل انتشار الكذب وما سببه من فساد مجتمعي انتشار المثل القائل: "كذب مزوق خير من صدق مبعر" أو "كذب مصلح خير من الصدق المفسد" أو "كذبة بيضة" ... الخ.

وقد كثرت الأمثال في موضوع الكذب، ومنها: "تنك ورا الكذاب لحد باب الدار"، أي سايره ولا تجادله في كلامه فيظهر لك كذب ما سمعته، "ضحكوا على السقا قال من حقاً"، أي كذبوا عليه لسذاجته فصدقهم وظنه حقاً. "الفشر والنشر والعشا خبيزة"، يضرب للمتفاخر الكاذب، "فين عزمك يا فشار آدي السيف وادي صاحب التار"، "الكذاب تنحرق داره"، "المية تكذب الغطاس"، "يحلف لي أصدقه أشوف أموره استعجب"، "يفوتك من الكذاب صدق كثير". ومما تجدر الإشارة إليه أن الكذب ينتشر بالتبعية في الأسر التي يوجد بها نماذج تستخدم الكذب لتبرير أفعال معينة سواء كان ذلك اجتماعياً أو مرضياً.

وقد خطب الحجاج بن يوسف يوماً، فأطال الخطبة، فقال أحد الحاضرين: الصلاة فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرک، فأمر بحبسه. فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون، فقال الحجاج: إن أقر بالجنون خلصته من سجنه، فقال الرجل: لا يسوغ لي أن أجحد نعمة الله التي أنعم بها عليّ وأثبت لنفسي صفة الجنون التي نزهني الله عنها. فلما رأى الحجاج صدقه خلى سبيله. وأخيراً استمع إلى قول ابن مسعود -رضي الله عنه- وهو يقول: لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين⁽¹⁾. أليس ذلك هو الكذب المرضي؟

الاغتراب:

يُطلق لفظ الاغتراب عادة على البُعد عن الأهل أو الوطن. وفي الغربة يقول المثل: "الغربة تعلم"، حيث لا يوجد أحد يعتمد عليه من أب وأم وأصدقاء، "من خرج من داره

(1) رواه مالك في الموطأ.

اتَّقلَّ مقداره"، كما أن "البعيد عن العين بعيد عن القلب"، "غربة ودلاعة"، أي أنه لم يتغرب إلا للترف وليس للعمل، وهنا يكون الرد "الحجر الداير لابد عن لطفه"، وقد يأتي أمر الله في السفر لذلك يقول المثل "اللقا نصيب"، وخوفاً عليه من السفر يقول "رب هنا رب هناك"، لأن "البعد جفا".

وفي هذه الغربة لابد للفرد أن يحسن التصرف في معاملته للآخرين "الغريب لازم يكون أديب"، لكنه يطلق اصطلاحاً في العلوم الاجتماعية على فقدان الفرد لذاته، واغترابه عنها، فيستنكر أعماله وكأنها غريبة عليه، ويستنكر ذاته حتى يكره الحياة ذاتها، ويتعد عن المجتمع الذي يعيش فيه ويعتزله، مما يعتبر ضرباً من الاضطراب النفسي في نهاية المطاف أو عرضاً من أعراضه⁽¹⁾.

والاغتراب خاصية وجودية مميزة للإنسان بما هو إنسان، قديمة قدم الإنسان نفسه، فهو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن ينفصل عن نفسه، وقد ينفصل عن مجتمعه أو عالمه، وقد يعيش الإنسان الاغتراب وكأنه جزءاً من حياته، ومكوناً من مكوناته النفسية والاجتماعية دون أن يعي أنه مغترب⁽²⁾. "اللي ما تصبّحه وتمسيه ما تعرف إيه جرى ليه".

كما أن المغترب لا يحيا منفصلاً عن نفسه فحسب، بل عن إخوانه في المجتمع، وعن العمل وعن الأشياء المحيطة به التي يجهلها وإن كان يستهلكها، وعن الحكومة التي تدبر أمره، حتى أصبح شخصية مسيرة ليس له أن يختار، وإذا صارت الأمور على هذا النحو بغير إصلاح فسيتهيئ الإنسان حتماً إلى مجتمع مختل توازنه؛ لأن الفرد عندما يغترب عن ذاته فإن اغترابه ينعكس على المجتمع الذي يعيش فيه، فينطبق عليه المثل القائل: "الغريب أعمى ولو كان بصير"، ويوضح ذلك المثل القائل: "غنى المرء في الغربة وطن"، وعكسه: "فقر المرء في وطنه غربة"، فحينما تتغير الأشياء من حولك فإن تغيراً موازياً يحدث في داخلك، ويكون ذلك طبيعياً في عالم اهتزت فيه قيمه تحت وطأة الحروب ودفعات التغيير المتسارعة التي هزت كل القيم الثابتة⁽³⁾.

(1) حسين عبد القادر، مرجع سابق، ص 178.

(2) إبراهيم عيد (1990). الاغتراب النفسي، ص 7.

(3) إبراهيم عيد، مرجع سابق، ص 14.

هذه الغربة أحدثت شيئاً في الإنسان ذاته، هذا الشيء ربما يكون هو المقصود من المثل القائل "ما نابنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا"، فهل يحاول أن يسترد ذاته ويعود من غربته أم أن لسان حاله سينطق بالمثل "طُول الغيبة وجه بالخبية".

الغضب:

الغضب انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان، حيث إنه يساعده على حفظ ذاته. فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلي العنيف، مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب على العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه الهامة⁽¹⁾. حيث يحدث أثناء انفعال الغضب كثير من التغيرات الفسيولوجية التي من بينها إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على الكبد ويجعله يفرز كميات زائدة من السكر مما يسبب زيادة الطاقة في الجسم ويجعله متهيئاً لبذل المجهودات العنيفة التي يتطلبها الدفاع عن النفس أثناء الغضب، أو الجري أثناء الخوف. ولذلك كل إنسان يغضب قوي أو ضعيف "الحس عالي والفراش خالي"، فصوته عاليًا وهو لا يكاد يرى في فراشه، ومثله "الحس سالك والزر بارك".

وبقدر ما يكون الغضب شديداً تكون نسبة إفراز هرمون الأدرينالين أكثر تدفقاً إلى الدم مما يؤدي إلى ازدياد نبضات القلب حتى تصل من 72-150 نبضة في الدقيقة الواحدة، وينتج عن ذلك زيادة في الدم الذي يرسله القلب إلى أعضاء الجسم فيرتفع الضغط حينها. وتظهر عليه أعراض أخرى كانتفاخ الأوداج واحمرار الوجه، واتساع حدقة العين، وارتعاد الأطراف، وربما تظهر علامات أخرى حسب طبيعة الشخص المتفاعل.

وفي الحديث الشريف ما يؤكد التفسير العلمي للغضب والأعراض التي تظهر على الإنسان أثناءه، يقول الرسول ﷺ: "ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء فليصق بالأرض"⁽²⁾.

أما إذا كان الغضب معتدلاً أو تمالك الإنسان نفسه عند الحالة التي تثيره، فإن الغدة الكظرية تفرز هرمون "الأدرينالين" بنسبة معتدلة أيضاً، وهو ضروري للجسم لتنشيط الدورة الدموية، ولقيام القلب بإمداد الجسم بالطاقة اللازمة في كسب رزقه ومقاومة

(1) محمد عثمان نجاتي (2001). القرآن وعلم النفس، ص 79.

(2) سنن الترمذي، حديث رقم 2191.

والغضب كما سبق حالة نفسية وغريزة بشرية كسائر الغرائز التي أودعها الله في الإنسان، ولكن تأثيره على النفس البشرية يختلف من إنسان لآخر، وكذلك السلوك الذي يسلكه الإنسان عند الغضب يتباين من إنسان لآخر، فتجد البعض "زعله على طرف مناخيره"، والزعل هنا هو الغضب من أقل شيء، وهو يُضرب للشخص سريع الغضب، ومثله "زي الأخرس لما يحكوا له على طرف مناخيره"، كما أن البعض عندما يغضب لا يجدي معه التفاهم، وهو غضب مذموم؛ لأن الشخص في هذه الحالة يتصرف بغير حكمة، حتى أن المثل يقول: "إيش يعمل الحزق في المزق"، والحزق هو الشخص الحازق في كلامه، والمزق هو الشخص سريع الغضب، ويضرب هذا المثل في توضيح صعوبة التفاهم معه.

كما أن الغضب من أهم أسباب اختلال التوافق واللياقة النفسية والاجتماعية، وهناك حقيقة لا تقبل الجدل تقول: "لا ينال العلا من كان طبعه الغضب" فالغضب لا يفرز إلا الضغينة والحقد، وهو نار تحرق العقل وتسحق البدن وتصيبه بأمراض لا حصر لها. ويتفق معظم علماء النفس على أن الغضب ضرورة لحماية النفس من عدوان العالم الخارجي، ولكن عندما يصبح الفرد سهل الاستثارة يغضب لأتفه الأسباب وتزداد حدة انفعالاته لفترات طويلة فإنه سوف يعاني من أعراض التوتر المستمر والقلق المزمن وضعف التركيز والإعياء الذهني و البدني وفقد الرغبة في الاستمتاع بالحياة، مع بعض الأعراض الاكتئابية.

وقد جاء في القرآن الكريم وصف الغضب وتأثيره على سلوك الإنسان، وذلك حينما عاد

موسى -عليه السلام- إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل فغضب موسى، يقول تعالى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبًا أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ (2) وكثيراً ما يحول الغضب إلى أشخاص آخرين، في الحقيقة لم

(1) محمد عثمان نجاتي، علم النفس في حياتنا اليومية، ص 73.

(2) سورة الأعراف: 150 .

يكونوا هم العقبة التي حالت دون تحقيق أهداف الإنسان، وتعرف هذه العملية "بالنقل"، وهو ما حدث من سيدنا موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بالفعل حينما غضب من قومه لعبادتهم العجل، فوجه غضبه إلى أخيه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وللغضب عند الإنسان مظهران: إيجابي كالضرب والسب والعض والتدمير، وسلبى كالتجهم والامتناع عن الأكل أو الكلام، وهذا المظهر السلبي أضر بالصحة النفسية للفرد من المظهر الإيجابي⁽¹⁾.

وحينما يتملك انفعال الغضب الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال أو الأقوال العدوانية التي قد يندم عليها فيما بعد حينما يهدأ غضبه، وهما هو موسى -عليه السلام- عندما غضب ألقى الألواح وأمسك برأس أخيه ولحيته وجره إليه غاضباً ظناً منه أنه قصّر في نهيهم عن عبادة العجل، فلما زال غضبه وعاد إلى هدوئه وعرف أنه نهاهم، استغفر الله على ما فعل بأخيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥١) وقد شبه المثل لحظة الغضب بالسكر في قوله: "راحت السكره وجت الفكرة"، أي ذهبت ثورة الخمر وجاء وقت التفكير، والمراد كل ما يثير في النفس من غضب.

إن التحكم في انفعال الغضب والسيطرة على النفس من الأمور بالغة الأهمية لكي ينجح الإنسان في حياته ويستطيع أن يتوافق مع نماذج البشر على اختلاف طباعها وأخلاقها.. وأيضاً لكي يتجنب ما يسببه الغضب من اضطرابات نفسية وعضوية متعددة، ويتفادى كثرة التصادم والاحتكاك والذي يحصد بسببه خصومات وعداوات كثيرة. وفي الحديث الذي أخرجه البخاري: حدثني يحيى بن يوسف أخبرنا أبو بكر. هو ابن عباس. عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني. قال: لا تغضب، فردّد مراراً، قال: لا تغضب⁽³⁾ وعن الغضب يقول سفر الأمثال: "الحجر ثقيل، وحمولة الرمل مرهقة، ولكن غضب الجاهل أثقل منهما، الغضب فظ، والسخط قهار⁽⁴⁾"

(1) راجع، مرجع سابق، ص 171.

(2) سورة الأعراف: 151.

(3) أخرجه البخاري في باب الحذر من الغضب.

(4) سفر الأمثال 27: 3.

الاكتئاب:

الهموم والأحزان ضيفان ثقيلان على الإنسان في دنياه، لا يكادان يفارقانه، "إللي نبات فيه نصبح فيه"، فلا أحد يخلو من الهم سواء كان غنياً أو فقيراً، "بجملة الهم يا عم"، ولكل هم بمقداره، وفي ذلك يقول المثل: "كل قناية مضايقة بميتها"، حتى يأذن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - له بدخول الجنة، حيث لا حزن ولا ألم، ولا هم ولا غم، ولا كرب ولا ضيق، لذلك فإن من أول دعاء أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١).

ولقد كان النبي ﷺ يتعوذ من الهم والحزن، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال" (٢) وكان النبي ﷺ قد جمع معاني السعادة الدنيوية الكاملة، والتي لها أكبر الأثر في الدنيا والآخرة في تلك الأمور التي ذكرها في ذلك الحديث، والتي هي في الحقيقة منغصات حياة الإنسان ومسببات حزنه وضيقه، وهي:

الهم: وهو ضيق الصدر الذي سببه ما يظنه المرء ويتوقعه مستقبلاً، "كتر الهم يعلم البكا"، الحزن: وهو الضيق الذي سببه ما يفكر فيه المرء مما مضى، "من شاف حاله انشغل باله"، العجز: وهو عدم القدرة على القيام بما يأمله الإنسان ويطمح به، "العين بصيرة والإيد قصيرة"، الكسل: وهو القعود عن المعالي والركون إلى الراحة وعدم السعي وبذل الجهد لتحقيق المطالب، "أكل ومرعى وقلة صنعة"، "راس الكسلان بيت الشيطان"، "زي تنابلة السلطان يقوم من الشمس للضل بعلقة"، الجبن: وهو العجز عن الشجاعة والإقدام، والأمثال التي ذكرت في الجبن سلبية ومنها قول المثل: "الجبن سيد الأخلاق"، ويقول آخر: "إن كان لك عند الكلب حاجة قوله يا سيد"، "عيش جبان تموت مستور". البخل: وهو العجز عن الجود بالمال في الصدقة والزكاة والإيثار، يقول الحسن بن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: البخل أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً. ويقول ابن القيم: البخل فقير لا يؤجر على فقره، وقد قال المنفلوطي عن البخلاء: البخلاء جمال عطشانة والمياه محملة

(١) سورة فاطر: 34

(٢) صحيح البخاري، باب التعوذ من غلبة الرجال.

على ظهورها، ويقول المثل عن البخيل: "إقلع ضرسه ولا تخرج قرشه"، ويقول آخر: "الخل البلاش أحلى من العسل".

والمثل يقول: "لا صحة مع الهم"، الهم والحزن إذا داءان ضاران بالإنسان، لا بد أن يحاول جاهدًا أن يطردهما عنه ما استطاع وإلا وقع فريسة لهما فأقعدها عن المعالي وحطماه عن الإنجاز، "كنت بالهم القديم راضي جاني الجديد زود أمراض"، لذلك كان من المهم أن نتناول هذه القضية المؤثرة على نفس الإنسان وسلوكه، الهموم والأحزان أكبر أعداء لصحة الإنسان النفسية، إذ يرى كثير من العلماء أن الصحة النفسية هي حالة نفسية يشير فيها الإنسان إلى "التوافق" مع نفسه أو مع مجتمعه الذي يعيش فيه، ويوازن بين مصالحه ومصالح مجتمعه، والمقصود بالتوافق: "عملية ديناميكية يحدث فيها تغيير أو تعديل في سلوك الفرد أو في أهدافه أو في حاجاته، أو فيها جميعا، ويصاحبها شعور بالارتياح والسرور إذا حقق الفرد ما يريد وحقق أهدافه وأشبع حاجاته، ويصاحبها شعور بعدم الارتياح والاستياء والضيق إذا فشل في تحقيق أهدافه، "من همّ خد واحدة قد أمه"، ومنع من إشباع حاجاته، وهذه الحالة اليائسة الضيقة من عدم الارتياح والاستياء وفقدان السرور هي الحالة التي يهجم فيها على المرء الهم ويتربص به ضيق الصدر والشعور بالفشل "الضحك على الشفاتير والقلب يصنع مناديل".

فهو إحساس يكون فيه الفرد نهبا للشعور الداخلي السلبي والفشل وخيبة الأمل، واختفاء الابتسامة والانسراح، وظهور العبوس وعدم الابتهاج والأسى الممزوج بفقدان الهمة والتقاعس عن الحركة والعزوف عن بذل أي نشاط حيوي ولربما العزوف عن الحيوية والحياة بكاملها - في بعض الحالات - ليصل إلى مراتب اليأس من فرص الحياة الطيبة في المستقبل، إذ يشعر الفرد معه عندئذ بحاجة لذرف دموع الحزن والأسى ويود لو أنها تنزلق من مآقيه على الرغم من عدم وجودها. والمثل يقول: "يدق الهم وينخله ويسفه".

وبعد مطالعة الأعراض السابق ذكرها، أليس الهم والحزن هو ما يُعرف بالاكئاب النفسي؟ فلاكتئاب النفسي هو مشكلة من المشكلات التي تعوق الفرد في توافقاته وتطوره، حتى إذا ما وصل إلى درجة شديدة كان التعطل أو التأخر بصفة عامة، فيكون الاضطراب الانفعالي متمثلاً في القدرة على الحب وكراهية الذات، تلك التي تصل إلى التفكير في الموت أو

الإقدام الفعلي على الانتحار، حيث يسيطر التناقض الوجداني "الوش مزين والقلب حزين" (صراع الحب والكراهية) على المسرح، "هم يضحك وهم يبكي".

وكذلك الاضطراب المعرفي متمثلاً في انخفاض تقدير الذات، واضطراب الذاكرة، وتوقع الفشل في كل محاولة للنجاح واستشعار خيبة الأمل في الحياة، بالإضافة إلى الاضطراب البدني المتمثل في اضطراب الشهية للطعام، واضطراب النوم، "الأيام الزفت فايدتها النوم"، وكثرة البكاء، وتناقص الطاقة الذي يستتبعه حالة من التأخر النفسي البدني⁽¹⁾. يقول الشاعر:

وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى وتحتي بحار بالأسى تتدفق

ويقول آخر:

ثوبي مثل شعري مثل خطي سواد في سواد في سواد

والبعض يتصور أن الهم والقهر مكتوب عليه، وأن هذا هو قدره "كل هم في البلد يبجي عندي ويتسند"، "قلوب عليها دروب وقلوب من الهم تدوب"، "من يوم ما ولدوني في الهم حطوني". ومع ذلك فالأمثال تقدم حل ولو بسيط، فمن الممكن اللجوء للبكاء "ما شيلتك يا دمعتي إلا لشدي"، أو "اترك الهم ينسأك وإن افتكرته ضناك".

الخجل:

عندما يتحدث الفرد مع شخص آخر فإنه يوزع انتباهه على عدد من الأشياء. فهو يستمع لما يقوله الطرف الآخر، ويلتقط ما يقوم به من إشارات غير لفظية. فهو يحاول هنا أن يضيف معنى على ما يحدث ويفهم جيداً ما يقول وما يقال له، والهدف من الحديث. إنه يخطط لما يمكن أن يقوله، ومتى وكيف ينطق بما يريد، وكيف يعدل من كلامه ليتناسب مع مجريات الحديث، ويقدر أثر ما يقوله على الطرف الآخر... الخ.

والفرد وهو يقوم بكل ذلك لا يكون شاعراً تماماً بذاته أو واضعاً إياها تحت المراقبة الشديدة المباشرة، ولكن إذا كان هذا الفرد خجولاً فإن جزءاً من انتباهه يكون مركزاً على

(1) عبد الله عسكر (2001). الاكتئاب النفسي، ص 11.

ذاته، "اسود وشه" وهو مما يؤدي إلى انخفاض حجم الانتباه الذي يخصصه للجوانب الأخرى في موقف المحادثة، ومن ثم يحدث الاضطراب ونقص التركيز، "بقيت في نص هدومي".

وقد تباينت وجهات النظر الخاصة بمفهوم الخجل نظراً لطبيعته المركبة. فقد عرفه البهي بأنه: "حالة انفعالية قد يصاحبها الخوف عندما يخشى الفرد الموقف الراهن المحيط به"⁽¹⁾. كما عرفه وليم مكدوجل McDougall بأنه "ظرف انفعالي يتسم بعدم الارتياح والتحرج والكف في وجود الآخرين"⁽²⁾. كما يرى الدسوقي أن الخجل "تأثر انفعالي بالآخرين في المواقف الاجتماعية"⁽³⁾.

يتضح من التعريفات السابقة للخجل أنه حالة انفعالية، أو ظرف انفعالي، أو تأثر انفعالي، أي أن الخجل في جملته "انفعال". بينما توضح مايسة النيال ومدحت أبو زيد (1999: 6) أن الخجل دافع، حيث يمكن أن يدفع الخجل صاحبه إلى الهروب أو الانسحاب أو تفادي أي موقف اجتماعي مثير أو حتى في بعض الأحيان غير مثير، وذلك إذا ارتفعت درجة الخجل لتؤدي وظيفة دافع تجنب الأذى.

وتشير نتائج الدراسات إلى أن الأشخاص القلقين اجتماعياً لديهم أساليب خاصة لمواجهة المواقف الاجتماعية، هي بمنزلة استراتيجيات يعتمدون عليها، إما في تجنب أو تحاشي تلك المواقف وما تمثله لهم من تهديد، أو في الهروب منها. "داري يا ستره عاري"، "يا حيط داريني"، وتبدو تلك الاستراتيجيات ناجحة في المدى القصير، ولكنها سيئة للغاية في المدى الطويل، وذلك لأنها تحرم الفرد مما يمكن أن يحصل عليه من دعم وتشجيع من يتعامل معهم، وتحرمه كذلك من فرص اكتساب الخبرات والتصرف بأساليب أكثر فاعلية⁽⁴⁾.

(1) فؤاد البهي (1975). الأسس النفسية للنمو. (ط4). القاهرة: دار الفكر العربي. ص 293.

(2) كمال الدسوقي (1990). ذخيرة علوم النفس. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع. ج 2. ص 1361.

(3) السيد إبراهيم الدسوقي (1994). الخجل لدى المراهقين من الجنسين. التقويم والمقياس التربوي. عدد 3، ص ص 135-201.

(4) راي كروزير (ترجمة) معتز سيد عبد الله (2009). الخجل. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. عالم المعرفة. عدد 361. ص 81.

هذا الشخص يشعر بالتوتر والضييق لوجوده في وسط جماعة من الأفراد، ويكره أن تسلط عليه الأضواء، أو يكون موضع ملاحظة الآخرين واهتمامهم، أو يشعر بالتردد والخوف إذا كان بصدد مقابلة شخص يراه ولم يسبق له التعامل معه، وعادة ما يسلك مسلكاً دفاعياً، إذ ينأى بذاته عن مواقف التفاعل الاجتماعي والتواصل مع الآخرين، ويكره أن يعبر عن آرائه وأن يبدي اختلافه مع آراء الآخرين، ويحرص دائماً على أن يكون في خلفية الصورة بعيداً عن الآخرين.

ويرى بعض الباحثين أن الخجل سمة أولية لا يمكن تحليلها إلى سمات أخرى، في حين يرى باحثون آخرون أنه توجد أشكال متباينة للخجل. ومن التصنيفات القديمة للخجل تصنيف أيزنك وأيزنك (1969) حيث صنفا الخجل إلى نوعين هما:

الخجل الاجتماعي الانطوائي، والخجل الاجتماعي العصبي. حيث يتميز الفرد في النوع الأول بالعزلة مع القدرة على العمل مع الجماعة إذا اضطر إلى ذلك. بينما في النوع الثاني يتميز صاحبه بالقلق الناتج عن الشعور بالحساسية المفرطة نحو الذات، والشعور بالوحدة النفسية، مع وجود صراعات نفسية بين رغبته في تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين وخوفه منها⁽¹⁾ ثم جاءت دراسة شيك Cheek لتمييز بين نمطين من الخجل هما خجل الانسحاب الذي يتميز بالكف السلوكي والصمت وقلة الكلام. وخجل الاعتماد الذي يتميز بالسلبية ومسايرة الآخرين والإذعان لهم وميل الفرد إلى الحيادية بوصفها وسائل لحماية الذات⁽²⁾.

وتعددت أعراض الخجل ومظاهره، ومع ذلك تجمع بينها زملة أعراض تختلف نسبتها من فرد إلى آخر ومن مستوى إلى آخر ومن مثير إلى آخر، ومن هذه الأعراض: أعراض فسيولوجية Physiological symptoms وهي تتمثل في شحوب لون الوجه، وارتعاش الأطراف، واحمرار الوجه، وجفاف الحلق، وخفقان القلب. وأعراض اجتماعية Social symptoms مثل ضعف القدرة على التفاعل أو التواصل، البقاء في خلفية المواقف الاجتماعية، تفضيل الوحدة، الرغبة في الانسحاب. وأعراض انفعالية وجدانية

(1) مایسة النیال ومدحت أبو زید (1999). الخجل وبعض أبعاد الشخصية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

(2) رای کروزیمر، مرجع سابق، ص 70.

Emotional symptoms مثل التوتر والخوف والضييق والارتباك، كثرة الابتسام، انخفاض الصوت، البكاء أحياناً. وأعراض معرفية Cognitive symptoms مثل قلة التركيز، وتداخل الأفكار، والتشتت أثناء الحديث.

والخجل المرضي غير الحياء، فالحياء مطلوب "اللي ينكسف من بنت عمه ما يجيش منها عيال"، "اللي ما يستحي يفعل ما يشتهي"، ويعجب المثل ممن لا يستحون "اللي اختشوا ماتوا". وقد اتضح من خلال هدي الإسلام أهمية أخذ الموقف المثير للحياء بعين الاعتبار، فمع تأكيد الإسلام على أهمية اتصاف الإنسان بالحياء إلا أن هناك بعض المواقف التي يجب ألا يسيطر الحياء فيها على الإنسان مثل مواقف قول الحق، أو طلب العلم، أو السعي على الرزق، فإذا استحي الإنسان فإن حيائه ليس في محله، لأنه حياء مذموم فيه زيادة عن الحد المعترف شرعاً، وهو ما يعرف بالخجل.

وقد كان النبي ﷺ شديد الحياء، فعن قتادة، قال: سمعت عبد الله بن أبي عتبة يقول: سمعت أبا سعيد الخدري -رضي الله عنه- يقول: "كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها. وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه⁽¹⁾" كما أن الحياء من صفات الملائكة، وهو ما بينه النبي ﷺ في حق عثمان -رضي الله عنه- حين قال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة⁽²⁾".

السرقعة:

عندما يسرق طفل أو بالغ فإن ذلك يصيب الوالدين بالقلق. وينصب قلقهم على السبب الذي جعل ابنهم يسرق ويتساءلون هل ابنهم أو ابنتهم "إنسان غير سوي". ومن الطبيعي لأي طفل صغير أن يأخذ الشيء الذي يشد انتباهه .. وينبغي ألا يؤخذ هذا السلوك على أنه سرقة حتى يكبر الطفل الصغير، ويصل ما بين الثالثة حتى الخامسة من عمره حتى يفهم أن أخذ شيء ما مملوك للغير أمر خطأ. وينبغي على الوالدين أن يعلموا أطفالهم حقوق الملكية لأنفسهم وللآخرين. والآباء في هذه الحالة يجب أن يكونوا قدوة أمام أبنائهم .. فإذا آتيت إلى البيت بأدوات مكتبية أو أقلام المكتب أو أي شيء يخص العمل، فدروسك في الأمانة

(1) البخاري، ج10، حديث رقم 6119؛ ومسلم، كتاب الفضائل، ج8، رقم 2320.

(2) صحيح مسلم، باب فضائل عثمان بن عفان، ج8، برقم 2401.

لأطفالك ستكون من الصعب عليهم أن يدركوها. ولذلك فإن السرقة عند الأطفال لها دوافع كثيرة ومختلفة ويجب لذلك أن نفهم الدوافع في كل حالة، وأن نفهم الغاية التي تحققها السرقة في حياة كل طفل حتى نستطيع أن نجد الحل لتلك المشكلة.

وينبغي على الآباء أن يدركوا سبب سرقة الطفل، هل الطفل سرق بدافع الحاجة لمزيد من الاهتمام والرعاية ؟ وفي هذه الحالة قد يعبر الطفل على غضبه أو يحاول أن يتساوى مع والديه، وقد يصبح المسروق بديلا للحب والعاطفة. وهنا ينبغي على الوالدين أن يبذلوا جهدهم لإعطاء مزيد من الاهتمام للطفل على اعتبار أنه عضو مهم في الأسرة.

وعند قيام الطفل بدفع أو إرجاع المسروقات، فلا ينبغي على الوالدين إثارة الموضوع مرة أخرى، وذلك من أجل مساعدة الطفل على بدء صفحة جديدة. فإذا كانت السرقة متواصلة وصاحبها مشاكل في السلوك أو أعراض انحراف فإن السرقة في هذه الحالة علامة على وجود مشاكل أكبر خطورة في النمو العاطفي للطفل أو دليل على وجود مشاكل أسرية.

وسلوك السرقة قد يصل إلى "هوس السرقة". "يسرق الكحل من العين"، إن هوس السرقة Kleptomania الذي ينتشر لدى بعض البالغين من الرجال والنساء، نلاحظ في مثل هذه الحالة يعجز الفرد مرارا عن مقاومة الاندفاع لسرقة أشياء لا يحتاجها سواء لاستخدامه الشخصي أو لاستخدام أسرته أو لكسب مالي، بل ربما أن هذه الأشياء التي سرقها يتم التخلص منها أو توزيعها أو تخزينها أو رميها "مال تجيبه الريح تاخذه الزوابع".

وترى الدراسات النفسية التحليلية أن الشخص الذي يمارس هذا السلوك ناجم من التدليل الزائد الذي وجده وهو طفلا من والده "المال السائب يعلم السرقة"، تدليلا عظيما أثناء السنوات الأولى من عمره، فكان يلبي له كل طلب، ثم حرمه فجأة مما كان يؤثر به، وفرض عليه أساليب من السلوك صعبت عليه، لذا اتسمت حياته بعد ذلك بسمة ظهرت على غيرها من السمات الأخرى، فكانت تصرفاته كلها تنم عن ثقته في أنه يستحق تعويضا، فكأنه في ممارسة هذا السلوك "السرقة" لابد أن يكسب من مكاسب فقدها، ومن ثم فهو يتوقع أن يرد إليه ما كان يتمتع به أثناء طفولته فيجانب له كل مطلب وما عليه إلا أن يمارس السرقة حتى يشبع ما فقد من عطف أو حنان مفقود.

ومن الجلي أن الفرد الذي يمارس سلوك السرقة وهو كبير يحاول أن يتحدى الواقع ليرجع بسلوكه هذا إلى دنيا الطفولة، فينفذ عن نفسه قواعد التربية المنطقية والواقع الذي يعيشه بكل ما يحمل من صعاب ومعاناة.

وعلىنا أن نميز بين سلوك السرقة المرضي وغير المرضي. ففي الحالة الأولى (سلوك السرقة المرضي) فإن المصاب بهوس السرقة هو الذي يكرر سرقة المحلات أو الأماكن أو البيوت، ويسبق ذلك الفعل تخطيط دقيق مع دراية بما يفعل، ولا يندم على فعلته، وهو يعد اضطراب نفسي.

وبعض حالات السرقة نشاهدها في بعض الشخصيات المعروفة لدينا والتي نقابلها في حياتنا كل يوم، "من أمنك لم تخونه ولو كنت خاين"، وهي الشخصيات السيكوباتية التي تتميز بسرقة أقلام أو ميداليات، فقد يجلس أحد الأشخاص بالقرب منك وأنت تعرفه حق المعرفة، وفي غفلة تجده يغافلك ويسرق ميداليتك أو قلمك أو ..، "اللي يسرق البيضة يسرق الفرخة"، هذه الشخصية ليست بحاجة إلى القلم أو الميدالية، وهو ربما ليس غالبا أو ثمين إلى الحد الذي يضطر لسرقته، هذا السلوك نلاحظه عند البعض الذي يتميز بثراء أو إمكانية مالية جيدة وليس بحاجة لما يسرق، ولكن دوافع هذا السلوك المنحرف ضغط عليه ليقوم بهذا الفعل.

خلاصة القول يمكن أن تكون الانحرافات في الشخصية تتميز بنمط من عدم التكيف مع الواقع، وكذلك عدم القدرة على المرونة التي تتطلبها الحياة في عالمنا المتغير بشكل سريع وهذا أدى إلى اختلال في إدراك الواقع والتدهور في قدرة التفكير في الذات وفي البيئة ومتطلباتها، لذا سببت مشكلات كثيرة ناجمة عنها، ومشكلات حادة سببت الإعاقة في التكيف لدى الفرد نفسه وسببت له الكثير من المشكلات وعدم التوافق مع المجتمع.

وبالطبع هذا يختلف عن السرقات التي نسمع عنها من قبل اللصوص والبلطجية الذين يمتنون السرقة ويعتبرونها مهنة، وهم بذلك لا يفرقون بين الحلال والحرام "حلال كلنا .. حرام كلنا"، وعموماً فإن "المال اللي يشبه أصحابه حرام"، ولذلك تجد هذه السلوكات تتوارثها الأبناء لأن "عمر الحرام ما يربي"، والأمثال في موضوع السرقة كثير منها: "سلموا

القط مفتاح القرار"، "حاميتها حراميتها"، "عمر المال الحلال ما يضيع"، "عويل قال لكفه الي تفرقه سفه".

هؤلاء يقول الله تعالى في حقهم: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٨).^(١)
الفشل:

الفشل هزيمة مرة ترتبص بالإنسان في ميادين الحياة كافة : المهنية ، والعاطفية ، والاجتماعية ، والفكرية. فيسقط الإنسان هناك حيث النجاح ممكن ومتوقع، وتتلاشى الآمال والأحلام على صخرة الواقع الصلبة، ويحاول كثير من الناس تفهم فشلهم، فيردون هذا الفشل إلى عوامل خارجية، كالظروف المهنية أو الاجتماعية، أو... الخ. والواقع أن الفشل حالة تختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يمر به فيصبح أكثر قوة، وكأنه يطبق الحكمة القائلة "السم الذي لا يقتلني يقويني"، ومنهم من يتعرض له فيحطم الفشل أجنحته، ومنهم من يسير مباشرة إلى الفشل بقدميه، فيسعى إليه سعياً نتيجة رواسب قديمة وظروف نفسية وعائلية صعبة مر بها في طفولته^(٢).

فالفشل أحياناً يكون نتيجة لصراعات داخلية عنيفة، وجروح نفسية تركت أثرها في الإنسان وحملته على الفشل حملاً. فهذا موظف ناجح حصل على ترقية وصار رئيساً، فتوقع الجميع له مستقبلاً باسماً فإذا هو يفشل فشلاً ذريعاً أودى بعلاقته برفاقه وبحياته العائلية وصحته النفسية. وهذا رجل ناجح ويعيش حياة مترفة ويحظى باحترام الجميع وتقديرهم، ولكن الجميع يعلمون أنه يخفي هذه المظاهر البراقة فشلاً عائلياً حطم حياته "ما كل من ركب الحصان خيال"، "خيبة الأمل راكبة جمل"، ولا يقتصر هذا الفشل على الأشخاص العاديين، بل يعاني منه أيضاً المشاهير "باب النجار مخلع".

لقد وصل "روبسيير" إلى قمة السلطة، لكنه لم يستطع البقاء طويلاً، إذ انقلب عليه رفاقه واعتقلوه، غير أن أصدقاءه وأعوانه أنقذوه وتجمعوا حوله ينتظرون منه إشارة صغيرة

(١) سورة المائدة: 38.

(٢) طلال حرب (1994). الفشل: أسبابه ونتائجه. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ص 5.

للاقتضاض على أعدائه، فأمضى الليل حائراً متردداً، "بيغرق في شبر مية"، ففترق أعوانه معتبرين أن شيئاً لم يحدث، عند ذلك اغتنم أعداؤه الفرصة وانقضوا عليه واقتادوه إلى المقصلة "ما يموت على السد إلا قليل الفلاحة".

وفي الحالات الخطيرة من الفشل لا يتوصل المرء إلى التكامل مع شخصيته في نطاق النشاط الاجتماعي، ويعاني منذ طفولته، يخفق في دراسته، لا يتفاهم مع محيطه، ينزل ويوجد لنفسه العديد من الصعوبات التي تمنعه من متابعة طريقه "زي شخاخ الجمال تلمي ورا"، وهذا رغم ذكائه وقدراته المؤكدة.

وعند دراسة مسألة فشل فرد ما في الحياة الاجتماعية، ينبغي الانطلاق من وجهتي نظر مختلفتين: وجهة نظر الفرد الذي أصابه الفشل، ووجهة نظر المجتمع الذي ينتمي إليه. وبحسب الانطلاق من هذه الوجهة أو تلك تتبين أم المسألة لا تنطرح بالضرورة بالطريقة نفسها. فما اعتبر بشكل صارم فشلاً من وجهة النظر الفردية يبدو أحياناً نجاحاً من وجهة النظر الاجتماعية، ومثال ذلك "روسو"، و"بودلير" اللذين اعترفا بفشلهما في حياتهما الاجتماعية التي اعتبرها المجتمع نجاحاً. هذه التعاسات التي ظهرت عليهما إنما ترجع لأصول مرضية، فهاهو "روسو" يعاني من جنون اضطهاد كان يجعله غير جدير بالقيام بدور الرجل أو الأب للعائلة. وكان "بودلير" مدمناً على المخدرات وغير قادر على رعاية ثروته، وكان يشتكي من عدم قدرة على العمل، ومات مجنوناً. والخلاصة أن مفهوم الفشل ذو طابع اجتماعي، ويتغير مع الأزمنة والعهود.

الأنانية:

الأنانية Egoism أن يبالغ المرء في حبه لنفسه، "من حب نفسه كرهته جماعته" فذلك قدر من الأنانية لأنه يؤثر نفسه على الآخرين بقدر ما يشير إلى تركز حول الذات، والاهتمام بالأننا دون مراعاة للواقع، وعلى حساب الآخرين "كلها نية قبل ما غيرك يأكلها مستوية"، وهذا ما يضع يدنا على طبيعة التكوين النرجسي لمثل أولئك الأشخاص الأنانيين، وكأن قدراً كبيراً من لبيدو⁽¹⁾ الموضوع قد استثمر في الأننا ولحسابها.

(1) يشير المصطلح في أصله اللاتيني إلى الرغبة أو الشهوة. وقد استعاره فرويد لأول مرة كمترادف للوجدان الجنسي، فالليبدو بالنسبة للدفة الغريزية الجنسية يقابل كلمة الجوع بالنسبة للتغذية. وهو يتطور حسب المرحلة النائية التي يمر بها الإنسان بداية من المرحلة الفمية ومروراً بالمرحلة الشرجية وحتى المرحلة التناسلية. وفي كل مرحلة نائية تختلف مناطق اللذة عند الفرد.

والمصطلح Egoism مرادف في الإنجليزية لمصطلح آخر هو الغرور أو العجبة Egoistic إلا أن مصطلح الأنانية نادراً ما يتضمن ذلك القدر من الغرور والإعجاب بالنفس الذي يتضمنه المصطلح Egoistic ولا شك في اتصاف الأنا لدى أولئك وهؤلاء بالترجسية الشموس، وما الخلاف غير خلاف في الدرجة⁽¹⁾.

والأنانية، أو الأثرة، تعني تفضيل الذات على الآخر، "يا روح ما بعدك روح"، "كل واحد يقول يالله نفسي"، "إمتى القيامة يا جحا قال لما اموت انا"، "من بعد راسي ما طلعت شمس"، "أنا ثم الطوفان"، "فؤادي ولا أولادي"، وهي نزوع طبيعي يمكن التغلب عليه بالأخلاق التي تمتدح الكرم والإيثار، وذلك من أجل إعادة التوازن إلى الفرد والمجتمع معاً. "من حب نفسه كرهته الناس"، "حبيب ماله، حبيب ماله"، "ما يشكر في نفسه إلا إبليس".

وينحصر المعنى العام للأنانية على المستوى الفردي على الأقل في صورتين كليهما مرفوضة وشاذة من وجهة نظر الشخص السوي نفسياً واجتماعياً: أولاهما تتمثل في عجز الفرد عن النظر إلى العالم إلا من خلال مصالحه ومنافعه الخاصة أو الشخصية، "ألف عين تبكي ولا عين امني، وعين امني ولا انا"، "قال بيت ابوك انهد قال خد لك منه قالب"، وهذا المستوى هو الذي يمكن أن يطلق عليه إسم الأنانية بحصر المعنى، وتتمثل الثانية في تبني وجهة النظر الأولى مصحوبة بقدر أكبر من التشدد والغلو في التزام المصلحة الذاتية. وهذا ما يمكن أن يطلق عليه إسم جنون الأنانية الذي يُدل عليه بالمصطلحين egotism وegomania.

كما يمكن أن يقال عن الأنانية: إنها الحالة التي تغلب فيها على الفرد دوافعه ورغباته الذاتية دون النظر إلى رغبات أو مصالح الآخرين، "إلعب وحدك ترجع راضي" ومن ثم تتعارض مع الروح الاجتماعية حتى لو اتسع نطاقها، وصبغت اتجاه فريق من الأفراد. أما فرويد فيقرر: إن كل ما لدينا من معرفة عن الليبدو ينصبّ على الأنا الذي يتجمع فيه أول الأمر كل القدر الممكن من الليبدو، وتسمى هذه الحالة النرجسية الأولية المطلقة. وتستمر النرجسية حتى يبدأ الأنا في شحن الموضوعات في العالم الخارجي التي تعرض له بالليبدو، أي حتى يستبدل حب الموضوعات بحب الذات "ما ينفعك الان نفسك".

(1) حسين عبد القادر (في) فرج طه وآخرون. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. ص 200.

فبمقتضى هذا الفهم الفرويدي للبنية النفسية تكون النرجسية أقرب إلى حالة فطرية ليس من اليسير على الفرد مواجهتها والتخلص منها. وإذا ما توسعنا في استخدام مصطلح النرجسية، ودفعناه خارج حقل التحليل النفسي، أمكن النظر إلى النرجسية بوصفها أول صورة من صور الأنانية، وبأنها متأصلة في الجبلة الإنسانية، في حين أن أول تعييناتها النفسية والاجتماعية تتمثل في رغبة المرء المفرطة في الاستئثار بالخيرات المادية والمعنوية من دون سائر أفراد الجماعة التي يحيا فيها. ومن الناحية الأخلاقية تطلق الأنانية أيضًا على من لا يستهدف إلا نفعه الخاص، في حين أن الغيرية هي حب الغير وإرادة الخير له وتقديمه على الذات.